الشعر، من العرض الشفوي إلى العرض البصري

عرف الشعر في كل الثقافات الإنسانية مرتبطاً بالإنشاد والإيقاع، كما كان التلقي السماعي والإنجاز الشفوي، نمطين مكرسين للإنتاج والاستهلاك. هكذا بقي الشعر، لفترات طويلة، أداء لغوياً متميزاً بإيقاعية وموسيقية تمنحانه جمالية إنشادية ونفساً غنائياً «فكل النصوص القديمة جداً لدى كل الحضارات، تؤسس علاقة حميمة بين الموسيقى واللغة الشعرية، والمؤكد أن الوعي بإمكانيات استثمار المكامن الشعرية للغة تم على المستوى الشفوي، تلك الإمكانيات التي تظهر مزدوجة، إذ بالإمكان اعتبار المادة اللغوية قابلة لأن تعرف تنظيماً موسيقياً خاصاً، أو اعتبارها قابلة لأن تواكب عزف آلة موسيقية معينة... يعمل الشاعر على تكييفها معها...»[1].

والحال ان الطابع الإنشادي الغنائي للشعر، وعلاقته بالموسيقى والإيقاع: لا تحتاج من الباحث برهنة، إذ تكفي معاينة مظاهر هذه العلاقة بتأمل اللغة الشعرية في سماتها الصوتية، والإيقاعية، والصرفية، والتركيبية.

غير أن هذا الطابع ليس حكراً على الشعر وحده، بل يعم إنتاجات لغوية أخرى تشترك في سمتها الفنية «ففي العديد من الأعمال الفنية بما فيها الشعر بطبيعة الحال ـ تلفت طبقة الصوت الانتباه، وتؤلف بذلك جزءاً لا يتجزأ من التأثير الجمالي، يصدق هذا على كثير من النثر المبهرج، وعلى كل الشعر الذي هو بالتحديد تنظيم لنسق من أصوات اللغة...»[2].

لقد ارتبطت اللغة بالموسيقى في خط تطوري واحد، وهذا ما يمكن الوقوف عليه عبر ما حفظته تراثيات الحضارات الإنسانية القديمة، حيث كانت للموسيقى قيمة أدائية في مواكبة

---

(1) **D. Delas** et **J. Filliolet. Linguistique et poétique.** Larouse UNV. 1973, P. 161.

(2) رنيه ويلك وأوستن وارن، نظرية الأدب، ص 205.